

تفسير القرآن الكريم

٨ - ٩ - ١٤٠ سورة الحجر

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ
(١)

سورة الحج

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

سورة الحجر

ذُرُّهُمُ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُنْهَمُّ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

سورة الحجر

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَ مَا
يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾

سورة الحجر

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

سورة الحجر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأِيكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

سورة الحجر

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ
مَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿١﴾

مَا نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

- قوله تعالى: «مَا نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ» جواب عما اقترحوا على النبي ص أن يأتيهم بالملائكة حتى يصدقوه،

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• و محصل الجواب أن السنة الإلهية جارية على ستر ملائكته عنهم تحت أستار الغيب فلو أنزلهم و أظهرهم لهم عن اقتراحهم ذلك كان ذلك آية سماوية خارقة للعادة نازلة عن اقتراحهم، و من شأن الآية المعجزة النازلة عن اقتراح الناس أن يعقبا عذاب الاستئصال و الهلاك القطعي إن لم يؤمنوا بها، و هؤلاء الكفار المعاندون ليسوا بمؤمنين فهو الهلاك.

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• وبالجملة لو أنزل الله الملائكة و الحال هذا الحال - هم يقترحون آية فاصلة تظهر الحق و تميط الباطل لأنزلهم بالحق الفاصل المميز و ما كانوا إذا منظرين بل يهلكون و يقطع دابرهم، هذا محصل ما ذكره بعضهم.

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• وقيل: المراد **بالحق** في الآية **الموت** و المعنى ما نزل الملائكة على الناس إلا مصاحباً للحق الذي هو الموت و ما كانوا إذا منظرين، و كأنه مأخوذ من قوله تعالى: «يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين» الآية.

• وقيل: المراد **بالحق الرسالة** أى ما نزل الملائكة إلا بالوحي و الرسالة و كأنه مأخوذ من نحو قوله: «قد جاءكم الرسول بالحق»: النساء: ١٧٠ «و قوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم: الأنعام: ٥.

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

- فهذه وجوه مذكورة في تفسير الآية و دونها وجوه مذكورة في مختلف التفاسير و هي جميعا لا تخلو من شيء
- و هو أن شيئا منها لا ينطبق على **الحصر** الموجود في قوله: «مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» فنزول الملائكة لا يختص بعذاب الاستئصال فقط و لا بالموت فقط، و لا بالوحي و الرسالة فقط، و توجيه الآية بما يختص بأحد المعاني الثلاث المذكورة للحق يحتاج إلى تقيدها بقيود كثيرة يدفعها إطلاق الآية كما هو ظاهر لمن راجع الوجوه المقررة آنفا.

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• و يمكن أن يقرر معنى الآية باستمداد من التدبر في آيات أخر أن **ظرف الحياة المادية** أعنى هذه النشأة الدنيوية **ظرف يختلط فيه الحق و الباطل** من غير أن يتمحض الحق في الظهور بجميع خواصه و آثاره كما يشير إليه قوله تعالى: «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ: الرعد: ١٧،

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• وقد تقدم تفصيل القول في ذلك **فما يظهر فيه** شيء من الحق إلا وهو **يحتمل شيئاً من اللبس و الشك** كما يصدقه استقراء الموارد التي صادفناها مدى أعمارنا، و من الشاهد عليه قوله تعالى: «و لو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً و للبسنا عليهم ما يلبسون»، الأنعام: ٩

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

- و الظرف ظرف الامتحان و الاختيار و لا اختيار إلا مع إمكان التباس الحق بالباطل و اختلاط الخير و الشر بنحو حتى يقف الإنسان على ملتقى الطريقين و منشعب النجدين فيستدل على الخير و الشر بآثارهما و أماراتهما ثم يختار ما يستحقه من السعادة و الشقاوة.

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• و أما عالم الملائكة و ظرف وجودهم فإنما هو عالم الحق غير مشوب بشيء من الباطل كما يدل عليه قوله تعالى: «لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»، التحريم: ٦ و قوله: «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»: الأنبياء: ٢٧.

مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

- فمقتضى الآيات و ما فى معناها أنهم فى أنفسهم مخلوقات شريفة و وجودات طاهرة نورانية منزهة عن النقص و الشين لا تحمل الشر و الشقاء و ليس عندها إمكان الفساد و المعصية و التقصير فلا يحكم فيها هذا النظام المادى المبنى على أساس الإمكان و الاختيار و جواز الصلاح و الفساد و الطاعة و المعصية و السعادة و الشقاء جميعا، و سيوافيك البحث المستوفى فيه فيما يناسبه من المورد إن شاء الله.

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

- و سيأتي أيضا أن الإنسان لا طريق له إلى هذا الظرف الحق ما دام متوغلا في هذا العالم المادي متورطا في ورطات الشهوات و الأهواء كأهل الكفر و الفسوق إلا ببطلان عالمهم و خروجهم إلى العالم الحق و ظهوره عليهم و انكشاف الغطاء عنهم كما يشير إليه قوله: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»، ق- ٢٢ و هذا هو العالم الذي يسمى بالنسبة إلى الإنسان آخرة.

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• فتبين أن ظهور عالم الملائكة للناس المتوغلين في عالم المادة متوقف على تبدل الظروف و الانتقال من الدنيا إلى الآخرة و هو الموت اللهم إلا في المصطفين من عباد الله و أوليائه المطهرين من أقدار الذنوب الملازمين لساحة قربه لهم أهلية مشاهدة الغيب و هم في عالم الشهادة كالأنبياء ع.

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• و لعل ما قدمناه هو المراد بقوله: «ما نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ»، فإنهم إنما اقترحوا نزول الْمَلَائِكَةَ ليشاهدوهم في صورهم الأصلية حتى يصدقوا و هذا الحال لا تتمهد لهم إلا بالموت كما قال تعالى: «و قال الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ - إِلَيَّ أَنْ قَالَ - يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا وَ قَدَمْنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا»: الفرقان: ٢٣.

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• و قد اجتمع المعنيان في قوله تعالى:
 «و قالوا لو لا انزل عليه ملك ولو
 انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون
 و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و
 للبسنا عليهم ما يلبسون»،: الأنعام: ٩

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• يقول تعالى: لو أنزلنا عليه الملائكة آية خارقة للعادة مصدقة للنبوة كان لازمه القضاء عليهم و هلاكهم و لو قلدنا الملك النبوة و الرسالة كان لازمه أن نصوره في صورة رجل من الإنسان، و أن نوقفه موقفا يحتمل اللبس فإن الرسالة إحدى وسائل الامتحان و الابتلاء الإلهي و لا امتحان إلا بما يحتمل السعادة و الشقاء و الفوز و الخيبة و يجوز معه النجاة و الهلاك و لو توصل إلى الرسالة بما يضطر العقول إلى الإيمان و يلجئ النفوس إلى القبول و اليقين لبطل ذلك كله.

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ

• و قوله «لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ» معناه **هلا تأتينا**، و هو دعاء الى الفعل و تحضيض عليه، و مثله قوله «لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» قال الشاعر:

• تعدون عقر النيب أفضل مجدكم
بنى ضو طرى لو لا
الكمى المقنعا «١»

• و قد جاء (لو ما) فى معنى (لو لا) التى لها جواب قال ابن مقيل:

• لو ما الحياء و لو ما الدين عبتكما
ببعض ما فيكما
إذ عبتما عورى «٢»

• اى لو لا الحياء.

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ

• و المعنى فى الآيه **هلا تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً**

فى انك نبى، و قال ابو عبيد عن ابن جريج: فيه تقديم و تأخير يعنى قوله «و لَوْ فَتَحْنَا» هو جواب «لَوْ مَا تَأْتِينَا» و المعنى: فلو فعلنا ذلك بهم ايضاً لما آمنوا، و ما بينهما كلام مقدم و المراد به التأخير، قال المبرد: هذا الذى ذكره جائز لكن فيه بعد لأنه يلبس بأن يكون فتح عليهم من أنفسهم فخرج بهم. و الله اعلم. و كلا الأمرين غير ممتنع الا ان العرب تمنع مما فيه لبس.

ما نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ

• و قوله «ما نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» قرأ حمزة و الكسائي و حفص عن عاصم بالنون و نصب الملائكة. الباقر بالتاء و رفع الملائكة إلا أبا بكر عن عاصم فانه ضم التاء على ما لم يسم فاعله. فحجة من قرأ بالنون قوله «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ» «٣» و حجة من قرأ «تنزل الملائكة» بفتح التاء قوله «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا» «٤». و حجة من قرأ على ما لم يسم فاعله قوله «ما تنزل الملائكة الا بالحق» و قوله تعالى «وَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا» «٥».

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ

- (١) مر تخريجه في ١: ٣٠٩، ٤٣٥.
- (٢) شواهد الكشاف ١٢٦ و مجاز القرآن ١: ٣٤٦ و تفسير القرطبي ١٠: ٤ و مجمع البيان ٣: ٣٣٠.
- (٣) سورة الانعام آية ١١١
- (٤) سورة القدر آية ٤
- (٥) سورة الفرقان آية ٢٥

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ

• و معنى قوله «ما ننزل الملائكة إلا بالحق»
 يعنى بالحق الذى لا يلبس معه الباطل طرفه
 عين. و قال الحسن و مجاهد: معناه إلا بعذاب
 الاستئصال اى لم يؤمنوا بالآيات، كما كانت
 حال من قبلهم حين جاءتهم الآيات التى
 طلبوا، فلم يؤمنوا.

وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ

• و معنى «وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ» أَنَّهُ إِنْ
نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَ لَمْ يُؤْمِنُوا لَمْ
يُنْظَرِهِمُ اللَّهُ، بَلْ كَانَ يُعَاجِلُهُمُ الْعُقُوبَةُ.